توظيف الحيوان في شعر محمود درويش

ديوان "سرير الغريبة" أنموذجًا تحليليًّا

حنان إبراهيم العمايرة، رغدة علي الزبون *

ملخص

تتناول هذه الدراسة توظيف الحيوان في شعر محمود درويش "ديوان سرير الغريبة" أنموذجاً تحليليّا؛ إذ كانت البداية بالإشارة إلى توظيف الحيوان في القرآن والسّنة، والاستشهاد بآيات وأحاديث تبيّن آليات التعامل مع الحيوان في المنهج النبوي، وعرضت الدراسة لكيفية توظيف بعض الحيوانات في الشعر الجاهلي كالناقة والبقر الوحشيّ، لننتقل بعدها إلى شعر درويش ونبيّن كيفيّة توظيفه لعدد من الحيوانات في نصوصه الشعرية، والبداية من عالم الطيور كالحمام والقطا إذ يلحظ تأثره بمنهج القدماء، ثم انتقلت الدراسة إلى عالم الخيول التي نقلها درويش من ميدان الحروب إلى عالم العشق والفرح بالمحبوبة والأرض. أما الغزال فظهر في شعره بحلة أسطورية ترمز للمرأة بحركتها وسكونها في مشهد مبهج استدعى فيه بعض الشخصيات التاريخية المرتبطة بالعشق مثل جميل بثينة. وكذلك الأيل فقد رسم لها صورة موحية بالفرح فجاءت على هيئة المفرد والجماعة لتبث مشاهد الحبّ، ووصف الشادن أيضا في صيغة التوأمة الثنائية، ووظّفه بأبعاد متعدّدة معتمدا على تقنيّاته الأسلوبية للكشف عن الغايات من توظيف الحيوان في الشعر الحديث؛ فالتناص والانزياح والاستدعاء تقنيات حققت أوصافا غير مألوفة ودلالات متعددة ستظهرها الدراسة.

الكلمات الدالة: الرمز، التوظيف، معجم الوصف للحيوانات، إيقاع البناء البصري، إيحاء الدلالة.

المقدمة

أولاً – توظيف الحيوان في الأدب:

جاء ذكر الحيوان ووصفه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والأدب العربيّ القديم سواءً أكان نثراً أم شعراً؛ ففي القرآن الكريم تطالعنا بعض السور المعنونة بأسماءِ بعض الحيوانات؛ مثل: سورة البقرة، وسورة النمل، وسورة الفيل، والعنكبوت، والنّحل والأنعام، ونجد في بعض الآيات وصفاً تفصيليّاً لسلوك بعض الحيوانات؛ قال تعالى: "وَأَوحى رَبُّكَ إِلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشون" (سورة النحل، الآية 86)، وحيناً آخر يأتي ذكر الحيوان لضرب المثل لتتحقق العِظة والعبرة؛ قال تعالى: "مَثَلُ الّذين اتَّخذوا مِن دونِ اللهِ أولياءَ كَمَثَلِ العَنْكبوتِ اتَّخَذتِ بيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيوتِ لَبَيْتُ العنكَبوتِ لو كانوا يعلمون"(سورة العنكبوت،

*قسم اللغة العربية، كلية السلط للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البلقاء التطبيقية؛ وقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2015/11/23، وتاريخ قبوله 2016/1/18.

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

الآية41).

وفي السنة النبوية ظهرت الأحاديث النبوية الشريفة التي تحثّ على الرّفق بالحيوان، وبعض الأحاديث تراعي الجوانب النفسية للحيوان؛ فقد نهى النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- عن صبْر البهائم، وهو أن تُحْبَس البهيمة ثمّ تضْرَب بالنّبل ونحوه حتّى تموت، وفي الصحيحين عن ابن عمر أنّه مرّ بقوم نصبوا دَجاجةٍ يرمونها، فقال ابن عمر من فعل هذا؟ إنّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم- لعنَ من فعل هذا(مسلم، 1988، رقم الحديث3615، ص391)، وفي موضع آخر نجده ينهى عن فجيعة مشاعر الحيوان، حين أخذ أحد الصّحابة فرخي طائر، فقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- حين رأى ما أصابها:" من فجع هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها"(أبو داود، رقم الحديث 5268، ص189)، وما يدعو للانتباه في الحديث السابق استخدام لفظة " فَجَع" فهذه اللفظة تكشف عن مراعاة الجانب النفسي لمشاعر الأمومة عند الحيوان، فوصْفُ الفجيعةِ يدلّ على عمق الألم لفقدان الطائر لفرخيه. وفي بعض الأحاديث نجد ما يشير إلى أن للحيوان لغته التي يتفاعل بها مع غيره من أبناء جنسه، وقد وصلت أبعاد هذه اللغة إلى النَّبيّ -صلّى الله عليه وسلم- حين رأى جملا قد حنَّ وذرَفتْ عيْناه، فأتاه النَّبيّ - عليه الصلاة والسلام- ومسح ذفراه، فسكت. فقال عليه -الصلاة والسلام-: لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتّقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنّك تجيعه وتدئبه" (أبوداود، 2549، ص2000).

وهكذا نجد أنّ الأحاديث النبوية كشفت عن صور من التفاعل السلوكي مع الحيوانات، وذهبت إلى " تأصيل التفكير في عالم الحيوان كي تدلّ على عظمة الخالق؛ فقد ورد عن أبي ذر الغفاري قوله:" لقد تركنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم وما يمرّ بنا طائر إلا وعندنا من شأنه علم " (الجاحظ، 1991، ص212).

أما الحيوان في الأدب، فإنّ أوصافه شغلت أدبنا العربيّ نثراً وشعراً؛ والمطّلع على تراثنا الأدبيّ يلحظ عناية العلماء والأدباء الأوائل بهذا الموضوع، لا سيّما وصف الحيوانات الصحراوية، فهي جزء من البيئة التي يعيشونها، ومقوّم من مقوِّماتها، فكانوا يجدون في صفات بعض الحيوانات مضربا للمثل، فأمثال العرب أكثرها تضرب بالبهائم، فلا يكادون يذمّون أو يمدحون إلا بذلك، لأنهم جعلوا مساكنهم بين السّباع والأحناش والحشرات، فاستعملوا التمثيل بها لذلك، (الدميري، د.ت، ص11)، ومن ذلك قولهم: "خذ من الحمار شكره وصبره، ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغُراب كتمانه للفَساد" (التوحيدي، د.ت، ج1، ص143).

وقد حفل أدبنا العربي بالعديد من المصنّفات التي تناولت أحوال الحيوانات، فالجاحظ مثلاً أفرد مصنّفا مستقلّا عنونه باسم "الحيوان" (الجاحظ، 1991)، وفيه تفصيل لأوصاف عدد غير قليل من الحيوانات التي تعيش في البيئة العربية، وفيه تتبع للسلوك النفسي والحركي والوظيفي لهذه الحيوانات. أما الدُّمَيري فقد كتب مصنّفا في "حياة الحيوان الكبرى" (الدميري، د.ت)، والقزويني كتب في "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" (القزويني، د.ت)، وفيهما نجد أوصافا لبعض الحيوانات المستأنس منها والوحشي، وكذلك الزّواحف والطيور وغيرها وتحدّثوا عن سلوكها وانفعالاتها وأدوائها وطرق علاجها وغيرها من المضامين المرتبطة بعالم الحيوان. وقد أصبحت هذه الكتب من أهم المصادر التي استند إليها علماء الغرب في بحوثهم في مجال الحيوان، وقد ترجم كتاب الدّميري إلى معظم اللغات الأوروبية وبقي مرجعا لطلاب العلم في علم الحيوان في جميع أنحاء أوروبا دون استثناء" (الدفاع، 1986، ص49).

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

وفي عالم الشعر يظهر الحيوان عنصرا بارزا في القصيدة الجاهلية، فالجاهليون كانوا أوثق اتصالا بالحيوان من غيرهم؛ فقد كان يقاسمهم المنزل والمأكل، وأحيانا كان الشاعر الجاهلي يفضّل الحياة مع الذئاب والوحوش على الحياة مع القبيلة، يقول الشنفرى:

ولي دونكُم أَهلونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ

وَأَرْقطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الرَّهْطُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذائِعٌ

لَدَيْهِمْ ولا الجَاني بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

(الشنفرى، 1998، ص67).

وتحفل القصيدة الجاهلية بالناقة وأوصافها، ففي معلّقة طرفة بن العبد نجده يصف الناقة في تسعة وأربعينَ بيتا، ومن ذلك؛ قوله:

وإِنّي لأمضي الهمَّ عند احتضارِهِ

بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَروحُ وَتَغتَدي

أَمُونٌ كألواحِ الإرانِ نسْأَتُها

على لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

نُباري عِتاقاً نَاجِياتٍ وأتْبَعتْ

وَظيفاً وَظيفاً فوق مورٍ مُعَبَّدِ

كَأَنَّ حُدوج المالكيّة غدوَةً

خلايا سَفينٍ بالنَّواصفِ من دَدِ

(طرفة بن العبد، 2003، ص21)

فالمعجم الوصفي لهذه الناقة يدلّ على عمق معرفة الشاعر بها، فالناقة التي ركبها ناقة عوجاء لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها، لهذا نجده يصفها بـ"المرقال؛ أي تراوح بين سير يسير وعَدْوٍ، وبالرغم من هذه السرعة فهي أمون أي أن من يركب عليها يأمن عثارها، وهي تحافظ على تنافسها وتميّزها مع باقي النوق العِتاق وتتفوق عليهنّ في السير، ثم يأخذ يفصّل في طبيعة الحركة لهذه النوق ممّا يدل على دقّة الوصف وجماله.

وقد أخذت "أوصاف الحيوانات" حيّزا من اهتمام النقاد، فتتبَّعوها عند الشعراء، وكشفوا عن أخطاء بعضهم في وصفها، ومن ذلك ما عيبَ على " أيمن بن خُريم" في قوله يمدح بِشر بن مروان:

فإنا قد وَجَدْنا أُم بِشْرٍ

كأمِّ الأسدِ مِذكارا وَلودا

فقد أخطأ الشاعر في أن جعلها مثل أمّ الأسد، لأنّ الحيوانات عَسِرة نَزِرَةُ النِّتَاج (الآمدي، د.ت، ص43)، ولعلّ هذا مردّه إلى أن الشاعر لم يعايش بيئة الحيوان الموصوف فلم يحسن وصفه.

ولم تنفصل أوصاف الحيوانات عن سيرورة السلوك الإنساني، فأفعال الحيوانات تترجم على أنها محاكاة لأفعال إنسانية بسيطة، وبذلك تضيق الثغرة بين الإنسان والحيوان، وعقل الحيوان ترجمة وصورة مبسّطة من العقل البشري (مونور، د.ت، ص233)، ومن هنا نجد امرأ القيس يتفاعل مع أوصاف حصانه على أنها أوصاف تعكس قوّة شخصيّته، يقول:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً

كَجَلمُودِ صخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِن عَلِ

كَمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبدُ عن حالِ مَتْنِهِ

كَمَا زَلَّتِ الصَّفوَاء بِالمتَنزَّلِ

(امرؤ القيس، 1986، ص19)

وهكذا نجد أنّ الشعر القديم حافلٌ بأوصاف الحيوان على اختلاف أشكاله وصوره، ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة لتبحث في كيفية توظيف الحيوان في الشعر الحديث، وقد وقع الاختيار على ديوان "سرير الغريبة" للشاعر الفلسطيني محمود درويش. وتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما الحيوانات التي ظهرت في ديوان "سرير الغريبة"؟ وكيف تجسدت في هذا النص؟ وما الغاية من توظيف هذه الحيوانات

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

في قصائده؟ ولماذا نرى حضور نوع خاص من الحيوانات دون غيرها؟ وما الآلية التي أدرج فيها الشاعر صور الحيوانات داخل نصّه الشعري؟ وما التقنيات الأسلوبية التي طوّعها درويش لغاية وصف الحيوان في شعره؟

أولاً - توظيف الطيور وأوصافها في شعر درويش:

يلحظ القارئ لديوان "**سرير الغريبة**" ظهور أنواع مختلفة من الطيور، وقد اختلفت دلالات توظيفها باختلاف أنواعها؛ ولعلّ حقل الطيور الحقل الأكثر توظيفا بين الحيوانات في هذا الديوان، فنجد درويش يوظّف عددا من الطيور وبصور مختلفة؛ فنجده يذكر الطّيور بجنسها العام؛ ليجعلها رمزا للانتقال من زمن إلى آخر؛ كما في قوله:

ونَشْهَدَ خاتمة الحرب بين أثينا وَجاراتها
ونرى حفلة السّلم ما بين روما وقرطاج
عمَّا قليل
فعمّا قليلٍ ستنتقلُ الطَّيرُ من زمنٍ نحوَ آخر،
(درويش، 2000).

ولعل درويش اختار الطير لأنه وسيلة للانتقال، فهو يأمَل أن تنتقل الطّيور بين الأزمان، فمن زمن كان يعاني الحروب إلى زمن السّلم في قرطاج؛ وفي موضع آخر وظّف درويش الطائر الأسطوري ليحقق المعجزات، وينتقل إلى ما وراء الطبيعة؛ يقول في المقطع الحادي عشَرَ من قصيدة " ربّما، لأن الشّتاء تأخَّر:

أَضُمّكِ حتّى أعود إلى عدمي
زائراً زائلا. لا حياة ولا
موتَ فيما أحِسُّ بِهِ
طائراً عابراً ما وراء الطبيعةِ
حين أَضُمّكِ...،
(درويش، 2000، ص54)

فالشاعر أراد أن يصف النشوة التي يحسّ بها مع المحبوبة، فاستعان بصورة الطائر الأسطوري الذي ينقله في لحظة اللقاء ليوصله عبْرَ خيالٍ جامح إلى ما وراء الطبيعة. وقد يصف درويش حيوانا مجهول الاسم بالنسبة إليه؛ لذا نجده يلجأ إلى حقل الوصف الخارجيّ، فيصف لونه مثلا، فيقول:

هل شَمَمْتِ دَمَ الياسَمينِ المَشَاعَ
وَفَكرْتِ بي
وانْتَظرْتِ مَعي طائِراً أَخْضَرَ الذَّيلِ
لا اسْمَ لهُ؟
(درويش، 2000، ص18)

يبدو أن الشاعر ينتظر المجهول، وقد جسّد هذا المجهول في صورة طائر قدّم بعض أوصافه اللّونية، ولكنّه لم يكشف عن اسم هذا الطائر ليوحي بدلالته إلى المجهول الذي ينتظره الشاعر في بلاد ينزف ياسمينها دما.

وفي موضع آخر يعبّر درويش عن معاناته من فقدان بلاده للاستقلال، وقد وظّف الطائر ليعبّر عن الضياع وفقدان الهوية في المنفى؛ يقول:

يا لها... من هياجٍ يُمَزِّقُ ما يتناثر من
ورقِ الورد حول السّياج. فنامي
على نَفَسي نَفَساً ثانِياً قبلَ أن يفتَح
الأمسُ نافِذَتي كُلَّها. ليسَ لي طائرٌ
وَطَنِيٌّ، ولا شَجَرٌ وَطَنِيٌّ، ولا زَهْرَةٌ
في حديقةِ منفاكِ. لكنني ـ وَنَبيذي
يسافِرُ مثلي أقاسِمُكِ الغَدَ والأَمس.
(درويش، 2000، ص28).

فالشاعر يعلن عن ألمه من فقدانه لهوية البلاد في المنفى، واللجوء إلى عالم الطبيعة يُعمّق شعوره بالاغتراب، فليس له طائرٌ وطنيٌّ، ولا شجر يعبّر عن اسم أرضه المغتصبة؛ ومع أن

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزيون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

هناك كثيرا من الأشجار المرتبطة باسم فلسطين، كالزيتون والبرتقال إلا أنه يفتقدها لأنه في أرض المنفى.

ولم يكتفِ الشاعر بتوظيف الطيور بجنسها العام؛ بل لجأ إلى تسمية بعض أنواع الطيور بمسمّياتها ووظّفها بما يخدم نصّهُ الشعريّ، ومن أنواع الطيور التي وظّفها في شعره، ما يلي:

أ- توظيف الحمام":

ظهر الحمام في بعض المقاطع الشعرية ليوحي بالدلالة إلى السلم والأمان، وهذه دلالة مألوفة غالبا ما ارتبطت بهذا الطائر، يقول درويش:

لن تأخذيني إلى النّهر ثانية. لن يسائلني
حارِسٌ: ما اسمُكَ اليومَ؟ لَن نلعَنَ
الحربَ. لَن نلعَنَ السِّلْمَ. لن نتسلَّقَ سورَ
الحديقة بحثاً عن الليل ما بينَ صفصافتين
ونافذتين، ولن تسْأليني: متى يفتح
السِّلْمُ أبواب قلعتنا للحمام؟
(درويش، 2000، ص27).

يلجأ درويش إلى تقنيّة التشخيص للحمام؛ ليعطيه قدرة على فتح أبواب القلعة المغلقة فيتحقق السِّلم المنشود، وفي المقطع السابق يجمع الشاعر بين ثنائية الحرب والسلم، ويحشد مجموعة من المعوِّقات والصعوبات التي تعيق هذا السلم؛ فالأسوار والليل والأبواب المغلقة كلّها تعيق حركة الحمام، ليبقى السؤال مفتوحا متى يتحقق هذا السلم ويفتح الحمام الأبواب.

ولعلّ صورة الحمام ترتبط بالمكان وألفته وجماله، فكثيرا ما يرتبط المكان بحركة الحمام، كالحمام المكّيِّ الذي يدور حول الحرم، وحول هذا المعنى جاء درويش ليتحدّث عن جمالية الحمام الدّمشقي وحركة طيرانه؛ يقول:

في دمشق
تَطِيرُ الحماماتُ
خَلْفَ سيَاجِ الحرِير
اثْنَتَيْنِ...
اثْنَتَيْنِ...
(درويش، 2000، ص65).

أراد الشاعر أن يكشف عن جمالية المكان الدمشقيّ، فرسم حركة الحمام المتطاير في صورة أزواج ثنائية متطايرة بأجواء من الحبّ والنعومة الحريرية، ولكيّ تتحقق هذه الدلالة لجأ إلى إيقاع بصري متذبب في بناء الأسطر المكتوبة، فتظهر صورة الدرج المتسلسل في بنائه وسط مساحة بيضاء واسعة لتدل على الحرية في حركة طيران الحمام؛ إضافة إلى جمالية بناء المقطع الشعري مما يعكس جمالية حركة الحمام الدّمشقيّ؛ فدرويش كغيره من الشعراء المحدثين الذين فطنوا إلى قيمة الفضاء البصريّ، وسعوا إلى استثماره وتوظيفه باعتباره طاقة فنّية، "وبعثرة الكلمات على الصّفحة من أبرز مظاهر التشكيل الذي يميّز القصيدة الجديدة، وشكلا من أشكال التجديد الصياغي والتحرير البصري وجزءا من الثورة اللغوية (وليد، 1997، ص179)، فثنائية البياض والسواد ساهمت في تأكيد المعنى فهي"عمل واعٍ ومظهر من مظاهر الإبداعية..." (ابن حميد، 1996، ص101).

وفي موضع آخر نجد الحمام يوظّف ليكون جزءا من التعبير عن منظومة المعاناة والوجع التي يقاومها أهل الأرضِ بإرادة وعزم؛ يقول درويش:

لا شيءَ يُوجِعُنا
لاطلاق الحمام ولا البردُ بين اليَدَيْن
ولا الريحُ حول الكنيسة توجِعُنا...
لم يكن كافِياً ما تَفَتَّحَ مِن شجَر اللّوزِ
فابتسمي يزهِرُ اللُّوز أكثرَ
بين فراشات غمّازتين.
(درويش، 2000، ص13)

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

يكشف الشاعر في المقطع السابق عن صموده وإرادته للحياة أمام التحدّيات والأوجاع، ولجأ للكشف عن هذه المعاناة عبر منظومة من المفردات الحسية والحركيّة والرمزية؛ ليبثّ الحياة في المقطع الشعريّ، فلا هروب الحمام ولا برد اليدين منعت اللّوز أن يتفتّح، ولا الريح التي ترمز للتحديات منعت الابتسامة أن تتحقق، وكيف تحققت؟ ومن جديد يوظّف درويش الحيوان توظيفا رمزيا يوحي بمدى جمال ابتسامة المحبوبة التي تملك غمّازين يتحركان كالفراشات الجميلة.

ب - وصف اليمام:

اليمام نوع من الطيور يشبه الحمام إلى حدٍّ ما في الشكل، ولكنّه يختلف عنه في اللّون والسلوك، فلونه بنّي مُحْمَرّ (رمليّ)، واليمام يميل إلى سكن الخرائب والمغارات وأغصان الأشجار. وظّف درويش طائر اليمام في شعره بتجلّيات متعدّة، فها هو يصف فراخ اليمام، قائلا:

نامي على نفسك المطمئنّةِ بينَ
زُهور الملاءات. نامي يداً فوق صدري
وَأخرى على ما سَيَنْبُتُ من زَغَبٍ لِفِرَاخ
اليمامات. نامي كما يتبغي للحديقة من
حولنا أن تنام.... امتلأنا بأمسِ،

(درويش، 2000، ص28)

أراد الشاعر أن يرسم في المقطع السابق صورة تبيّن تعدد مسؤولياته، فهو حريص على متابعة المحبوبة، وفي نفس الوقت يتابع ما سينبت من زغب لفراخ اليمامات، فلماذ زغب اليمام؟ وما التقنية التي اعتمد عليها الشاعر في هذا المقطع لإيصال المعنى؟

لجأ الشاعر إلى آلية التناص، ليحقق البعد الدلالي من التوظيف لهذه الصورة، فقد التقى مع الحطيئة في قوله:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرَخٍ
زَغَب الحواصِل لا ماء ولا شجرُ.

(الحطيئة، 1987، ص34)

فقد اختار الشاعر من الطيور اليمام، ومن مراحل النموّ مرحلة" الفراخ "التي نما الزغب عليها؛ والزغب هو الريش الصغير والشعر اللّين، في إشارة لبداية مرحلة جديدة؛ مرحلة ستولد كما يولد "زغب اليمام" فينمو ليكشف عن أفق أمل جديد، فتوظيف اليمام كشف عن بداية التغيير، والانتقال من الماضي إلى الحاضر، وفيه البدايات الجديدة للأمل.

وفي قصيدة أخرى يوظّف درويش "فرخي اليمام" ليدلّ على صغر سنّ المحبوبة التي أعدّت كلّ شيءٍ لترضي عاشقها؛ يقول الشاعر:

كم أنا؟
في الظَّهيرَةِ، لَمعْتُ كلَّ مراياىَ. أعْدَدْتُ
نفسي لعيدٍ سعيدٍ. ونهْدَايَ فَرْخا
يمامٍ لياليكَ يمتلئان بشهوة أمس.

(درويش، 2000، ص41)

فقد أدّى الوصف هنا وظيفة تدلّ على صغر سنّ لتوحي بذلك أن صغر سنّها لم يمنعها من ممارسة طقوس الحب والاستعداد لذلك العاشق.

ج- توظيف أنواعٍ أخرى من الطيور:

ومن الطيور التي لوّن فيها الشاعر لوحته الشعرية " طائر القطا" وهو طائر يعيش عند التجّمعات المائية، ويعيش على شكل جماعات، والقطا من الطيور التي وظّفها عدد غير قليل من الشعراء القدامى في شعرهم؛ ومنهم النابغة الذبياني الذي قال في القطا:

حذّاء مُدْبرةً سكاءَ مُـقْبِلَةً
لـلماء في النّحر منها نوطَةٌ عَجَبُ.
تدعو القطا وبه تـدعى إذا انتسبت

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

يا صدقها حين تلقاها فتَنْت

(الذبياني، 1990، ص177).

أما درويش فقد جمع في شعره بين "القطا" و"اليمام" في إشارة إلى تباشير الفرح، يقول:

وقد نَوَّر اللّوزُ بَعْدَ خُطى العابرين، هنا

على ضفّتيكِ، وَرفَّ عليكَ القطَا واليمامُ،

(درويش، 2000، ص17).

وللدلالة ذاتها "الفرح والأمل" جاء توظيف "القطا" في قصيدة أخرى؛ يقول:

مكانينِ في زمن واحد، وَبحثنا معاً

عن عناويننا: فاذهبي خَلْفَ ظلِّك،

شَرْقَ نشيدِ الأناشيد، راعية للقطا،

تجدي نجْمَةً سَكَنَتْ موتها، فاصعدي جبلاً

مُهْملاً تجدي أمسِ يُكْمِلُ دورتهُ في غَدِي،

(درويش، 2000، ص25)

ظهور القطا في المقطع يعزز الفرح المرافق للأناشيد لتكتمل دورة الحياة بين الأمس والغد، والفرح والحزن معاً.

وفي موضع آخر أراد الشاعر أن يوظّف ثقافته المعرفية، من خلال وصفه لطائر الحجل في قصيدة " درس من كاما سوطرا"؛ وهو نصّ هندي قديم يتناول السّلوك الجنسيّ لدى الإنسان، ويعدّ على نحْوٍ واسع عملا قياسيًا للحب في الأدب السنسكريتي؛ استفاد درويش من هذا النّص وطوّعه لخدمة شعره، يقول:

انتظرها

وقدّم لها الماءَ قبْل النَّبيذِ، ولا

تتطلّع إلى توأمَيْ حَجَلٍ نائمين على صدرها.

(درويش، 2000، ص64)

استعار درويش من عالم الطير "الحجل" في إشارة رمزية إلى جمال نهديها في هذا المشهد الغرامي المفعم بالحياة والحب.

وهكذا نجد أن درويش وظّف الطير في المقطع السّابق لغايات رمزية، وغالبا ما اتّكأ على السّياق النصّي؛ ليكشف عن الأبعاد الإيحائية من توظيف هذه الطيور، وعندما كان يلجأ إلى تسمية الطيور في قصائده؛ فإنه اعتمد إلى حدّ ما على ثقافة المتلقي في قراءة الأبعاد الدلالية، ولعل هذا ما يفسّر كثرة توظيفه للطيور بجنسها العام، ففي قصيدته " طائران غريبان في ريشنا" في إشارة إلى البحث عن الحرية عبر تضحياتٍ غير محدودة؛ فيقول:

طائرانِ غريبانِ في أرضِ مصرَ وفي

الشّام

قُل إنَّنا طائران غريبان في

ريشِنا. واكتُبِ اسميَ واسمَكَ تحتَ

العبارةِ . ما الساعة الآنَ؟ ما لونُ

وجْهي ووجهِك فوق المرايا الجديدة؟

(درويش، 2000، ص44)

ثانياً:: توظيف الخيل:

الخيل رفيق الشاعر العربيّ، ومنذُ وجد الشعر كانت أوصاف الخيل جزءا من مضمونه، فها هو المتنبّي يجعل الخيل جزءا من هويّته الشعريّة في بيته المشهور:

الخيلُ واللَّيْلُ والبيْداءُ تعرفُني

والسّيفُ والرُّمح والقرطاس والقلمُ.

(المتنبي، 1986، ص67).

أما درويش فقد ابتعد بالخيل عن ميدان الحروب؛ ووظّفها لتكمُل مشهد الفرح والابتهاج بالمحبوبة، يقول:

لِشَمْسِ نُبوخَذْ نَصَّر. أمَّا أنا، المُتَحَدّر

من غيرِ هذا الزّمان، فلا بدّ لي

من حصانٍ يلائم هذا الزّفاف. وإن كانَ

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزيون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

لا بدّ من قَمَرٍ فلْيَكن عالياً... عالياً.

(درويش، 2000، ص34-35)

وظّف الشاعر "الحصان" ليكمل به مشهد الزّفاف والفرح بالملكة السومرية، فالحصان من الحيوانات التي كانت تستخدم للتنقل في الزمن الماضي، ولكن الشاعر لم ينتقل بالحصان بين الأمكنة وإنّما بين الأزمنة، فانحدر بحصانه عبر الأزمان ليحقق سعادة الزّفاف مع القمر العالي، ومن تكرار العلوّ تتحقق الإضاءة والجمال.

ومن عالم الخيل أتى درويش على وصف الفرس وقد وظّفها توظيفاً رمزيًا، وارتبط ذكرها بالمحبوبة التي سعى العاشق لأن يوفّر لها أسباب الرّاحة والأمان، يقول:

يغلِّفُكِ النوم بي. لا مَلائِكةٌ يحملونَ السّرير

ولا شبحٌ يوقِظُ الياسمينة يا اسمي المؤنّثَ، نامي

فلا نايَ يبْكي على فرَسٍ هَاربٍ من خيامي.

(درويش، 2000، ص36)

يبدو أن الشاعر أراد أن يرسمَ مشهداً أنثويا بامتياز، فالياسمينة والفرس حقول ترمز للمحبوبة، وفي مشهدٍ يتفاعل فيه عنصرا النبات والحيوان مع العنصر المؤنّث نجده يبثّ مشاعر الحب، وما بكاء الناي إلا حزنا لهروب الفرس من خيمته، وما الفرس إلا رمزا للمرأة المعشوقة.

وللخيل صفات كثيرة تغنّى بها الشعراء؛ فالقوة والسرعة والجمال كلّها صفات تتحلّى بها الخيول؛ لكنّ درويش اختار صفة الصبر ليمدح بها حصانه، يقول:

على بِركةِ الماءِ حول المساء وَأزْهَار الكُالُونيا

انتظِرها

بِصَبْرِ الحِصَان المُعَدِّ لِمُنْحَدَرَات الجِبَالِ

انتَظِرُها.

(درويش، 2000، ص63)

أراد الشاعر أن يصف طول فترة الانتظار، فجاء بصورة جمع فيها بين العنصر الحسي والحركيّ معا؛ فالعاشق يصبر على طول مدّة الانتظار، ويشعر ببطء مرور الوقت، كما يصبر الحصان على نزول منحدرات الجبال، فتوظيفُ الحصان هنا توظيفٌ مجازيٌّ، لذلك اختار الحصان لا الفرس ليشبِّهه بالعاشق المولع بالمحبوبة، وتتضافر عناصر الطبيعة لتحقق جمالية الصورة وتؤكّد المعنى.

وفي القصيدة ذاتها نجده يوظّف حواسّه ليعبّر عن طول فترة انتظاره، ومُجددًا يستعين بالخيل في هذه الصورة، فيقول:

برائحة الصّنْدَلِ الذَّكَرِيَّةِ حَوْلَ ظُهُور الخيولِ

انتظِرها.

(درويش، 2000، ص63).

فهو ينتظِر المحبوبة في حالة تأهُّب وشجاعة تُظْهِرْ ذكوريّته ورجولته معا، وما الخيول هنا إلا كناية عن الاستعداد للتضحية ودخول المعارك من أجل المحبوبة.

ومن العصر الجاهليّ يستدعي درويش فرس أصحاب المعلّقات، ليعبّر عن التضحيات التي يقدّمها، يقول:

لما أنا فيه. أنا من أولئك

ممّن يموتون حينَ يُحبُّونَ. لا شيءَ

أبعدُ من فَرَسي عن مُعلَّقة الجاهليّ،

(درويش، 2000، ص63)

فالشاعر هنا يستدعي من الزمن الماضي ظاهرة أدبية وهي " المعلقات" ويستشهد بتضحية أصحابها من أجل المحبوبة، ويرمز لمحبوبته بالفرس التي يضحّي من أجلها. وحيث توجدُ الخيل تبرزُ التضحيات والبطولة، يقول درويش:

في دمشقَ:

تُطَرِّزُ أسماءُ خَيْلِ العرَبْ،

مِنَ الجاهليَّةِ

حتَّى القِيامةِ،

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزيون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

أَوْ بَـعْدَها،

...بِخُـيُـوطِ الذَّهَبْ.

(درويش، 2000، ص66).

وظّف الشاعر "الخيل" في النّص السّابق ليدلّ على عظمة الأرض الدِّمشْقيّة، فهي أرض تاريخ وبطولات ومعارك وتضحية وحضارة منذ القدم، وتاريخها يكتب بخيوط من ذهب.

ثالثا: توظيف الغزال والشادن:

غالبا ما يرتبط وصف الغزال في الشعر العربي بأوصاف المرأة الجميلة، فها هو المثقّب العبدي يصف الفتيات اللاتي رآهنّ قائلا:

كغزلان خذلن بذات ضال

تنوش الدّانيات من الغضون، (العبدي، 1971، ص53)

وحول هذا المعنى وظّف درويش صورة "الغزال" حين استدعى شخصيتين تاريخيّتين يرتبط حضورهما بالعشق، وهما جميل وبثينة؛ يقول درويش:

بثينةُ

تكبُرُ، يا صاحبي، خارج القلب

في نَظَر الآخرين. وفي داخلي تستحمّ

الغزالةُ في نبعها المتدفّق من ذاتها

هي، أم تلكَ صورتُها؟

(درويش، 2000، ص59)

يرسم الشاعر صورة استثنائية للغزالة التي تستحمّ في نبعٍ متدفّقٍ ذاتيّاً، وهنا كناية عن موصوف؛ فالقلب يتدفّق ذاتيّا وينبض بالحياة، والدّم يتدفّق إلى جميع أجزاء الجسد، فهو حين يذكر بثينة المعشوقة لا بدّ من أن يستدعي أجمل صور العشق، والغزال رمز يسُتدعى للبوح بأوصاف "بثينة المعشوقة.

وللغزال قداسة في الشعر الجاهلي؛ فقد حرص الشعراء على ألاّ يُقْتَل الغزال في قصائدهم؛ ممّا يدلّ على أنه كانَ معبوداً كالشمسِ (زكي، 1979، ص83)، وشعراء الجاهلية على كثرتهم وتعدد قبائلهم لم يذكروا أنهم قد صابوا غزالا، (عبدالرحمن، 1982، ص117)، ومما يستدل على قداسة الغزال في الشعر الجاهلي، قول امرئ القيس:

وماذا عليه لو ذكرتَ أواننا

كغزلان رملٍ في محاريب إقبال.

(انظر، عبدالرحمن، 1982، ص118)

ومن وحي معنى قدسيّة الغزال وظّف درويش هذا البعد في قصيدة "حليب إنانا"، وفيها يشير إلى الأسطورة السومرية القديمة "إنانا" ملكة السماوات والأرض، وفيها يقول:

أُوقِظُ برّيتي، وأقول:

سأستلّ هذي الغزالةَ مِن سِرْبِها

وأطعَنُ نفسي... بها،

(درويش، 2000، ص34)

أراد درويش من هذا التوظيف أن ينفرد بحبّ الإلهة "إنانا" فيصفها بالغزالة التي يتمنّى أن يستلّها من سِرْبِها، وأن ينال الموت في سبيلها، وقد جعلها سببا وأداة للموت، وأراد من هذا الوصف أن يكشف عن مدى حبّه لإلهة الخصب، إلهة سومر "نانا".

وفي قصيدة أخرى يختار الشاعر من الغزال " قرنه " ليعبّر فيه عن مدى تضحيته للمحبوبة، فيلجأ إلى العنصر اللونيّ ليبرز أثر تضحياته على الطبيعة، فالشقائق تلوّنت بدمه، يقول:

قلبي جريحاً فلا تطعنيهِ بقرن الغزال،

فلم تَبْقَ حَولَ الفُرات زهورٌ طبيعيّةٌ

لحلول دمي في الشقائق بعد الحروب.

(درويش، 2000، ص34)

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزيون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

يحمل "قرن الغزال" دلالة رمزية يشير فيها لكثرة القتلى في الحروب، وكأنه يتضرّع إلى "إلهنا" تتلطّف بهم وتنهي هذه الحروب، فلم يعد هناك زهورٌ تبثّ الحياة حول الفرات، فالمشهد مليء بدماء الحروب التي لونت الشقائق الحمراء.

وفي قصيدة "طوق الحمامة الدمشقي" يوظّف الغزال قائلا:

في دِمشقَ:
ينام غزالٌ
إلى جانب امرأةٍ
في سرير النّدى
فتخلَعُ فُسْتَانَها
وَتُغَطّي بِهِ بَرَدى !

(درويش، 2000، ص68)

مشهدٌ يوحي بمدى الأمان والتناغم والحياة على أرض دِمشق وقد جمع بين عناصر الحيوان والإنسان والجماد والطبيعة؛ ليشير إلى مدى تناغم عناصر الحياة في دمشق، فالغزال الذي ينام إلى جانب امرأة، هو رمز للحياة والتعايش والأمان على أرض دمشق، ونَلْحَظ أن كلمتي "غزال" و"امرأة" جاءتا نكرتين في دلالة على العمومية ليوحي بمدى اندغام الحياة بين الثنائيات على الأرض الدمشقية.

ولم يكتف درويش بتوظيف الغزال السريع الحركة، وإنما اتجه إلى عالم الشادن؛ فوظّف شادن الظبي في قصيدة عنونها باسم هذا الحيوان "شادنا ظبية توأمان" وقد اتكأ في توظيفه على صيغة المثنّى "التوأمة" وكرر هذا الاسم في قصيدته في موضعين، الموضع الأول، قال فيه:

الليلُ يولَدُ تحتَ لِحَافك، والظلُّ
مُرْتَبِكٌ ههنا وهنالك بين ضفافك
والكلماتِ التي أرْجَعَتْنا إلى نَبْرِها:
"وَضَعْتُ يمين على شَعْرِها
وَشِمالي على شادِنَيْ ظَبْيَةٍ تَوْأمين
وَسِرْنا إلى ليلِنا الخاصِّ...".

(درويش، 2000، ص28)

وَظّف الشاعر شادنا الظبية ليرمز بهما إلى جمالية جسد المحبوبة، فالحقل الوصفي بدأ بشعر المعشوقة ثم انتقل إلى الشادنين ليبرز جمال الجسد الأنثوي؛ ولعله لجأ إلى عالم الحيوان ليواري بموصوفه ويوحي بجمال محبوبته وصغر نهديها، ويمضي الشاعر في قصيدته لكشف تفاصيل اللقاء الخاص بالمحبوبة، فيقول:

لولاك لولا الرّذاذُ الذي يتلألأُ في نَمَش
الضوء مابين نهديك، لانحرفت لُغتي
عنْ أُنوثَتها. كم أنا والقصيدة أُمُّك،
وابناك، نغفو على شَادِنَيْ ظَبْيَةٍ
تَوْأمَيْنْ!.

(درويش، 2000، ص28-29)

يلجأ الشاعر إلى تكرار صورة الشادنين ليشعر المتلقي بعمق الأثر النفسي الذي تركه الجسد الأنثوي على الشاعر الذي أنتج قصيدته من إلهام جسدها، فجعل الشادنين ملتقى للأم والابنين والقصيدة، وما التقت هذه العناصر إلا لتبوح بأثر الجسد الأنثوي على الشاعر.

رابعاً: توظيف الأيل:

الأيل حيوان له عِظام على رأسه تُسمَّى القرون المتساقِطة، وهو من الحيوانات المشهورة بقدرتها على العدو؛ وقد وظّفه درويش، فقال:

فَيُعْجِبُني أنْ أُحَبَّ كما أنا
لا صُورَةً
مُلوَّنةً في الجريدَةِ، أو فكرةً

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

مُلحَّنةً في القصيدةِ بينَ الأيائِلِ.

(درويش، 2000، ص43).

تظهر "الأيائل" في هذا المشهد لتدلّ على أجواء الطبيعة والغابات التي تبعث على الهدوء وتحثّ الشاعر على كتابة القصيدة في المحبوبة؛ لكنّ محبوبته لم ترغب بمثل هذه الأجواء وتسعى لإيجاد عشق غير مألوف؛ فيحبّها كما هي، لا كما يرسمها الشعراء في الصور والقصائد، ولعلّ اختيار "الأيائل" دون غيرها من الحيوانات يدلّ على رفض المحبوبة للمشهد الرومانسيّ، وقد جاءت الكلمة في صيغة الجمع لتوحي بخيالية المشهد الشعري؛ وكأنّ الشاعر يكتب قصيدته بين الأيائل وسط الغابة وفي هذا المشهد الحركي إيحاء بالرومانسّية التي لا تحبّذها المحبوبة.

وفي موضع آخر يوظّف " الأيل " ليعبّر عن الحزن لغياب المحبوبة؛ يقول:

لَعَلَكِ حينَ تُديرينَ ظِلَّكِ للنَّهرِ لا تطْلُبينَ

من النَّهرِ غير الغُموض. هُنَاكَ خَريفٌ قليلْ

يَرُشُّ على ذَكَرِ الأيّلِ الماءَ من غيمَةٍ شارِدَةْ

هُنَاكَ، عَلى ما تَرَكْتِ لَنا من فُتَاتِ الرَّحيلْ.

(درويش، 2000، ص24).

يبدو أن ذكر الأيل في هذا النّص يتناغم مع مجموعة من عناصر الطبيعة، ليقدّم إعلان الرفض لرحيل المحبوبة؛ فالحقل المعجميّ الذي اتكأ عليه الشاعر في الوصف يكشف عن الحزن لرحيل المحبوبة، فالمفردات التي انتقاها تكشف عن فاعليّة هذا الحزن لرحيلها " تديرين ظلّك، غموض النهر، خريف قليل، غيمة شاردة، فُتات الرّحيل"، ولعلّه جاء على وصف " ذكر الأيل" ليزيد المشهد قوة وحدّة.

خامِسا- توظيف الفراشات:

أتى الشاعر على ذكر الفراش في ديوانه في ثلاثة مواضع؛ ورسمها بصورة متباينة، فمرّة نجده يصف الشرنقة قبل خروجه، وفيها يكشف عن مشاهد الطبيعة المشتعلة بالحياة، يقول:

سماء طبيعية من ظلالكِ، شرنَقَةً شرنَقَةْ

أنا ابن فعالك في الأرض، وابن جروحي.

(درويش، 2000، ص43)

فالشاعر يجمع بين ظلال المحبوبة، والشرنقة التي ما زالت في طور البداية للحياة، ويكرّر كلمة الشرنقة مرّتين ليأتي هذا التكرار معلناً أن أفعال المحبوبة التي بدأت صغيرة وتوالت وتكرّرت حتّى ملأت الأرض هي التي أوصلت المحبوبة إلى الآلام والجروح.

ومن صورة الشرنقة إلى صورة الفراشة التي ارتبط وصفها بالحركة والضوء والحياة، في تفاعل يوحي بمدى إيجابيّة المشهد الشعري الذي يرسمه الشاعر؛يقول:

كامِلةً. أكتفي بالإشارة تنثُرُني في مَهبِّ

الفراشاتِ بين الينابيع والشّمسِ. قل لِيَ

إنّي ضَرُورِيَةٌ لكَ كالنّومِ، لا لامتلاء

الطَّبيعَةِ بالماء حولي وحولك. وابسُطْ.

(درويش، 2000، ص43-44)

تتحرّك بين الينابيع والشمس؛ فتبثّ بحركتها الحياة والفرح؛ فالتوظيف هنا أعطى المشهد الشعري فاعليّة تعزّز الصورة الحركية واللونية لتعكس مدى تفاؤل الشاعر، وفي دلالة أخرى نجده يوظّف الفراش ليوحي بالأمل الذي سرعان ما يتبدّد في واقع الصراعات من أجل الحضارات والأسماء المختلفة؛ يقول:

طارَ الفراشُ من النَّوْمِ

مِثْلَ سَرابِ سَلامٍ سَريع

يُكَلِّلُنا نجمَتين

وَيقْتُلُنا في الصِّراع على الاسمِ

ما بينَ نافِذَتيْنِ

لِنَذْهَب، إذاً

ولكن طيِّبين.

(درويش، 2000، ص15)

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

حركة "الفراش" في هذا المقطع تعكس مواجهة الواقع بعيدا عن أحلام النوم، التي سرعان ما تزول وتبقى الحقيقة التي يكشف فيها ألم الصراع بين الثنائيات المختلفة، ولذا نجده يختار الخروج بأقلّ الخسائر للمحافظة على الطيبة بينهما.

سادسا- توظيف حيوانات أخرى:

أتى درويش في ديوانه على توظيف حيوانات أخرى لغايات متعدّدة، فها هو يتحدّث عن الذئب ليرمز به إلى البشر المعتدين، ويأتي على ذكر القط أيضا؛ فيقول:

حُريّتي تجلس الآنَ قربي، معي، وعلى
رُكْبَتَيَّ كَقِطٍّ أليف. تُحَدِّقُ بي وبِما
قد تركتِ من الأمس لي: شالكِ
اللَّيلكيَّ شرائط فيديو عن الرقص بين الذئاب، وعقداً من
الياسمين على طُحْلُب القلب....
(درويش، 2000، ص26).

وظّف الشاعر في المقطع السابق حيوانين؛ الأول القط، ورمز به إلى معنى غير ماديّ، وهي الحريّة التي أحسّها بالقرب من المحبوبة بعد ليلةٍ قضياها معاً، وقد وظّف القِطَ ليدلّ على العلاقة الحميميّة والألفة بينه وبين المحبوبة. أما الحيوان الآخر، فهو على النقيض، حيوانٌ مفترس غير أليف، ويرمز به إلى أولئك الرجال الذين يتصيّدون الفرائس، وما الفريسة إلا محبوبته التي تتبعها عيون الرجال. وقد حافظ الشاعر في توظيفه للذئب على صورته التقليدية في ذهن المتلقي، فهو حيوان مفترس ينقضّ على الآخرين.

وفي موضعٍ آخر نجده يطوّر دلالة الذئب لتصبح دلالته موحية بكل ماهو سلبيّ ومخالف، فهو مصدر خوف وقلق للشاعر، ولهذا نجده يتخوّف من الذئب، فيقول:

ماذا لو انتبه الذئب، واحترقت غابة في المدى.
(درويش، 2000، ص49)

فالشاعر يتخوف من انتباهة الذئب، ويعطيه قوة إضافية، ويجعله مصدرا للخوف والإحراق. وفي القصيدة ذاتها يرسم صورة مغايرة للذئب الذي يحمل النّاي ويبكي، فما هو سبب هذا البكاء؟ يقول درويش:

بنفسكِ محمولةً فوق نفسك. قد يحملُ الذئبُ ناياً
ويبكي على ضفَّة النَّهر: ما لم يؤنَّـثْ... سُدى.
(درويش، 2000، ص29)

يرى الشاعر أن الأنثى هي سبب التوازن على هذه الأرض، فإذا غابت تختلف نواميس الكون، ويتحوّل الذئب من حيوانٍ مفترس إلى حيوانٍ حزين يحمل الناي ويبكي، فكل شيء في غياب الأنثى يساوي الفراغ والسّدى.

ومن الحيوانات التي وظّفها درويش في ديوانه؛ الماعز. وقد جاء على ذكر الماعز في قصيدة "الجفاف" واتكأ على حاجة هذا الحيوان للعشب، فالعشب والحشائش يساوي الحياة، ولكنّ الماعز في موسم الجفاف لم تجد ما تأكله، يقول:

و الجفافُ يودِّعُ سَبْعَ السّنين العِجاف
فلا بُدَّ مِنْ هُدْنَةٍ في المدينة
لابدَّ من ماعز يَقْضِمُ العُشب
من كُتُب البابليين أو غيرهم.
(درويش، 2000، ص48).

وظّف الشاعر الماعز ليدلّ على شدّة الحاجة إلى الطعام في زمن الجوع، ولعلّ اتكاء الشاعر على تقنيّتيّ التناص والانزياح يكشف عن عمق المعنى الذي يريده الشاعر، فالتناص مع قوله -تعالى-: "وقالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَاف"(سورة يوسف، الآية 46) وبهذا يكشف عن الجوع والمعاناة؛ وهنا يوحي ببعد النظر في التعامل مع الجفاف، ومن هنا جاء الانزياح مع كلمة " العشب" الذي يقضم من كتب البابليين، فكيف للعشب أن يخرج من الكتب؟! أتراه قصد التاريخ الذي يفقده الناس في زمن الجوع الفكري!

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزيون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

ويبدو أنه وظَّفَ الماعز في هذا المقطع لكي يلفت انتباه المتلقّي لدلالة الجوع المعنوي الذي تحتاجه الأمة فتأخذه من حضارة البابليين.

أما فرس الماء فهو حيوان بحري حضر في قصيدة "سماءٌ منخفِضة"، وفيه يوظّف الشاعر معنى الاستسلام والضعف في كل مكان، وتظهر هذه الحالة حين يقلّ الحبُّ:

هُنالِكَ حُبٌّ فقِيرٌ يُحَدِّقُ في النَّهرِ

مُسْتَسْلِماً للتداعي: إلى أَينَ تَرْكُضُ

يا فَرَسَ الماءِ؟

فامشِ الهُوَيْنَى إلى موتِكَ الاختياريّ،

يا فَرَس الماء.

(درويش، 2000، ص16)

وهكذا نجد أن الشاعر يسقط أحاسيسه على "فرس الماء" لتعبّر عن الفناء الذي يواجه الكائن الحي حين يقلّ الحب، لا بل نجده غائبا عند فرس الماء.

الخاتمة

وهكذا نجد أنّ تجليّات الحيوان وصوره تعددت في ديوان "سرير الغريبة"، وتعددت أيضا الغايات التوظيفية لكلّ حيوان، فمرّة نجدها توحي بالضعف والألم، وأخرى يوظّفها لتبوح بالقوة والسيطرة، وثالثة تنشر معاني الحب والسلام، ولعلّ التقنيات الأسلوبية التي اتكأ عليها درويش ساهمت في إيصال المعنى.

ويمكننا أن نلخّص الأهداف التي حققّتها هذه الدراسة، وهي:

- أتى درويش على توظيف الحيوانات بطريقتين؛ الأولى اتكأ فيه على منهج القدماء في وصف وتوظيف بعض الحيوانات مثل طائر القطا واليمام والغزال، أما الطريقة الثانية فقد تجاوز فيها القدماء ورسم أبعادا جديدة لصورة الحيوان في الشعر الحديث، فالخيل مثلا لم تعد مبعثا للفخر بالانتصارات في المعارك، وإنما هي مصدر الفرح والأمل للمحبوبة.

- استطاع درويش أن يطوّع ثقافته بمعرفة آداب الأمم الأخرى مثل "كاما سوطرا" والأساطير مثل "أسطورة إنانا"؛ ليوسّع إطار التوظيف للحيوان في النّص الشعري.

- طوّع درويش مهاراته وتقنياته الأسلوبية لإظهار أبعاد متعددة من أوصاف الحيوان، فالتناص والانزياح والاستدعاء وغيرها من الأساليب تناغمت لرسم صور الحيوان في شعره.

- لم يقف درويش عند طورٍ محدّد في وصف الحيوان، فنجده يصف الفرخ والشرنقة والشادن على صغرهما، ويصف الطائر والفراشة والظبي وغيرها. ووصفَ الحيوان في البرّ والبحر والجوّ فكانت التشكيلية الوصفيّة للحيوانات تحقّقُ أغراضا وظيفيّة متعدّدة تخدم الغاية الشعرية التي يسعى درويش لتحقيقها.

- استطاع درويش أن يوثّق جزءاً من سلوك بعض الحيوانات، ويرسمها في لوحاته الشعرية بطريقة إيحائية تعكس دلالات متعددة، فالخيل لم يعد حضورها مرتبطا بمعاني القوة في ساحات المعارك، وإنما نجده يصف صبرها في نزول منحدرات الجبال، والحمام نجده يطير في مجموعات على الأرض الدمشقية ليشكل وثيقة للسلام والحب.

- ربط درويش في شعره بين أوصاف بعض الحيوانات والأمكنة، ومن هنا تولّدت الدلالات الإيحائية، فالغزال ينتقل من نهر بردى إلى الفرات ليلوّن الأزهار بدمه، والحمام يطير بين الكنائس والمساجد في دمشق، والماعز تقضب العشب من أرض البابليين، والطائر الأسطوري يجوب بين روما وقرطاج، وبهذا يعزّز درويش الصورة التكاملية في المشهد الشعريّ؛ ليُحقّق رمزية الدلالة.

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزيون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الألباني، م. (1988) صحيح مسلم باختصار السند، ط1، الرياض: مكتب التربية العربيّ لدول الخليج.

الآمديّ، ح. (د.ت) الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق: محمد محي الدّين عبدالحميد، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية.

البرقوقي، ع. (1986) شرح ديوان المتنبي، ط1، بيروت: دار الكتب العربي.

ابن حميد، ر. (1962) الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري، مجلة الفصول، العدد 2.

التوحيدي، ع. (د.ت) الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، (د.ط)، بيروت، المكتبة العصرية، ج1.

الجاحظ، ع.(1991) الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط1، بيروت، دار الجيل.

الحطيئة. ج. (1987) ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان محمد طه، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي.

درويش، م. (2000) ديوان سرير الغريبة، ط1، بيروت، دار رياض الرّيّس للكتاب والنشر.

الدميري، ك. (د.ت) حياة الحيوان الكبرى، بيروت، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الدفاع، ع. (1986) إسهام العلماء العرب في عالم الحيوان، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.

زكي، أ. (1979) الأساطير، دراسة دلالية حضارية مقارنة، ط2، بيروت، دار العودة.

الأزدي، س. (1998) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين بن عبدالحميد، كتاب الأدب، باب في قتل الذّرّ، حديث رقم 5268، بيروت، دار الفكر.

الشنفرى، أ. (1998) ديوان الشنفرى، تحقيق: علي ناصر غالب، ط1، الرياض، مطبوعات مجلة العرب.

العبد، ط. (2003) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي، ط1، بيروت، دار المعرفة.

عبدالرحمن، ن. (1982) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، مكتبة ط2، عمان، مكتبة الأقصى، .

القزويني، ز. (د.ت) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (د.ط)، بيروت، دار الشرق العربيّ.

النابغة، ز. (1990) ديوان النّابغة، زياد بن معاوية النابغة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط3، القاهرة، دار المعارف.

المثقّب، ع. (1971) ديوان المثقب العبدي، تحقيق وتعليق: حسن كامل الصّيرفي، ط1، القاهرة، معهد المخطوطات العربية.

-امرؤالقيس، (1986) ديوان امرؤ القيس، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة، دار المعارف.

منير، و. (1997) التجريب في القصيدة المعاصرة، مجلة "الفصول"، المجلد (16) العدد(1).

مونور، ف. (د.ت) شخصية الحيوان، ترجمة: فتحي مصطفى الغزّاوي، (د.ط) القاهرة، مكتبة نهضة مصر.

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202

The Use of Animals in the Poetry of Mahmoud Darwish

an Analytical Model for "Bed of the Stranger"

Hanan Ibrahim Al-Amaireh, Raghda Ali Zboun *

ABSTRACT

This study considers the use of animals in the poetry of Mahmoud Darwish, using the collection of poems "Bed of the Stranger" as an analytical model. The analysis begins with studying the use of animals in the Qur'an and the Sunna, where an examination of the verses and sayings (*'ahadith*) reveals the role of animals in the prophetic tradition. The analysis then shows how pre-Islamic poetry employs various animals, particularly the camel and feral cattle. The study then turns to analyze Darwish's use of certain animals, beginning with the birds, as well as the bathroom and the cat—noting the influences from the ancient poetic tradition. Then, the analysis shifts to the world of the horses, which Darwish transported from the realm of warfare to the domain of romantic love, and the joy of the beloved and the earth. As for the gazelle, it appears in his poetry in its epic form, symbolizing a woman in movement and in repose, in a delightfully portrayed scene which also incorporates a number of historical figures linked with passionate love, such as Jamil Buthayna.Accordingly, the deer may depict a scene suggestive of joy, then shifts to the singular and plural form in order to convey love scene. Al-Shaadin has also described this pairing of the two forms - and its use on multiple levels, depending on his stylistic techniques- as a means of uncovering the purpose behind the use of animals in modern poetry. Thus, intertextuality, displacement, and allusion are the techniques achieved through these unfamiliar descriptions; therefore, this study will reveal multiple implications.

Keywords: Animals, Poetry, Mahmoud Darwish, Intertextuality, Displacement.

---

* Al-Balqa' Applied University; and Faculty of Arts, The World Islamic Sciences and Education, Jordan. Received on 23/11/2015 and Accepted for Publication on 18/1/2016.

توظيف الحيوان في شعر محمود درويش : ديوان سرير الغريبة أنموذجا تحليليا = The Use of Animals in the Po
حنان إبراهيم العمايرة | رغدة علي الزبون
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © University of Jordan : Deanship of Academic Research. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/108202